مجموع
الخطب المنبرية

سلسلة (ذكر الموت وما بعده)

الخطبة السادسة

وسائل الثبات 2 عند الممات

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَالثَّبَاتُ عَلَىٰ مَنْهَجِ الْحَقِّ وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هُوَ مِنَ النِّعَمِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي يَمُنُّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ عَبْدِهِ.

وَالثَّبَاتُ: هُوَ الِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَمَامَ دَاعِي الْهَوَىٰ وَالشَّهْوَةِ، وَهُوَ الصَّبْرُ.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُكَرَّمِينَ يُثَبِّتُونَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فَيُثَبِّتُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ الْمُكَرَّمِينَ تَثْبِيتًا لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

الثَّبَاتُ عَلَىٰ الدِّينِ وَالْمَنْهَجِ، وَطَلَبُ ذَلِكَ، وَحَاجَةُ الْمُسْلِمِ إِلَيْهِ هُوَ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ، فَالثَّبَاتُ عَلَىٰ الدِّينِ مِنْ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ» - السَّبْتُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٨هـ| ٢٠-١-٢٠٠٧م.

مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ:
الْأَخْذُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ: الْأَخْذُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَالِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَمَامَ دَاعِي الْهَوَىٰ وَالشَّهْوَةِ تَعْنِي السَّلَامَةَ مِنَ الضَّلَالِ.. أَنْ يَسْتَقِيمَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَمَامَ مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْهَوَىٰ وَالشَّهَوَاتِ؛ فَهَذَا هُوَ مَا مَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ مِنْ سَلَامَتِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَمِنْ إِقَامَتِهِ عَلَىٰ مَنْهَجِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ وَصِرَاطِهِ الْقَوِيمِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَخْذِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَفِي الْأَخْذِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَمَانٌ وَعِصْمَةٌ مِنَ الضَّلَالِ، قَالَ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(١).

---

(١) أخرجه البزار: (١٥/ ٣٨٥، رقم ٨٩٩٣)، والعقيلي في «**الضعفاء**»: (٢/ ٢٥٠، ترجمة ٨٠٤)، والحاكم: (١/ ٩٣، رقم ٣١٩)، وابن عدي في «**الكامل**»: (٥/ ١٠٦، ترجمة ٩١٨)، والدارقطني في «**السنن**»: (٥/ ٤٤٠، رقم ٤٦٠٦)، والبيهقي في «**السنن الكبير**»: (١٠/ ١١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**».
=

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** ﷺ».

وَجَاءَ فِي «الْمُوَطَّأِ» فِي «بَابِ: النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ»(١) عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** ﷺ».

تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِينَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَهُمَا عِصْمَةٌ مِنَ الضَّلَالَةِ.(*).

=

والحديث صححه بشواهده الألباني في «**صحيح الجامع**»: (١/ ٥٦٦، رقم ٢٩٣٧)، وانظر: «**الصحيحة**»: (٤/ ٣٥٥، رقم ١٧٦١).

(١) «**الموطأ**» رواية يحيىٰ: (٢/ ٨٩٩، رقم ٣)، وأخرجه موصولا مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٨٨٦ - ٨٩٠، رقم ١٢١٨) من حديث: جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بدون ذكر السنة، بلفظ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ**».

وزاد الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٦٦٢، رقم ٣٧٨٦): «...، **وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ» - السَّبْتُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٨هـ| ٢٠-١-٢٠٠٧م.

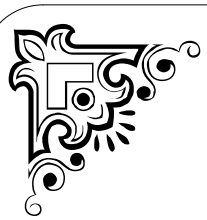

مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ:
الْإِقْبَالُ عَلَى كِتَابِ اللهِ والْعَمَلُ بِهِ

***مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ: الْإِقْبَالُ عَلَى كِتَابِ اللهِ؛ قِرَاءَةً وَفَهْمًا وَتَدَبُّرًا، وَتَطْبِيقًا وَعَمَلًا، قَالَ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: هَلَّا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ دَفْعَةً وَاحِدَةً مُجْتَمِعَ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَالْإِنْجِيلُ عَلَىٰ عِيسَىٰ وَالزَّبُورُ عَلَىٰ دَاوُدَ؟!!

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: أَنْزَلْنَا مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مُنَجَّمًا؛ أَيْ مُفَرَّقًا، وَسَنُنَزِّلُ مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ مُنَجَّمًا كَذَلِكَ التَّنْزِيلَ الَّذِي اعْتَرَضُوا عَلَيْهِ وَاقْتَرَحُوا خِلَافَهُ لِحِكَمٍ:

الْحِكْمَةُ الْأُولَىٰ: لِيُقَوِّيَ بِهِ قَلْبَكَ بِالسَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ؛ لِتُؤَدِّيَ رِسَالَتَكَ، وَتَقُومَ بِجَلَائِلِ الْأُمُورِ مَهْمَا تَأَلَّبَ عَلَيْكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ، وَأَرَادُوا مَنْعَكَ مِنْ تَأْدِيَةِ رِسَالَتِكَ.

وَالْحِكْمَةُ الثَّانِيَةُ: لِنُرَتِّلَهُ تَرْتِيلًا بِتَمَكُّنٍ وَأَنَاةٍ فِي دُرُوسٍ تَعْلِيمِيَّةٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَلِيَتَتَابَعَ أَقْوَالُ أَهْلِ الْبَاطِلِ بِبَيَانِ الحَقِّ، وَبَيَانِ مَا هُوَ أَحْسَنُ تَفْسِيرًا.(*).

فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ نَزَلَ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيُثَبِّتَهُ اللهُ بِهِ، وَلِيَرُدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ.

وَالْقُرْآنُ قِسْمٌ مِنْهُ تَوْحِيدٌ وَعَقِيدَةٌ، وَقِسْمٌ مِنْهُ أَحْكَامٌ.. أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَقِسْمٌ مِنْهُ: قَصَصُ السَّابِقِينَ، وَبِكُلِّ أَقْسَامِهِ يَحْصُلُ التَّثْبِيتُ.

فَالتَّوْحِيدُ وَالْعَقِيدَةُ تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ، وَبِالْأَحْكَامِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَحْصُلُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَبِالْقَصَصِ يَحْصُلُ الصَّبْرُ وَالسَّلْوَىٰ عَلَىٰ مَا يَنَالُ الْمُسْلِمَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ.

وَفِي الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

وَفِي النَّظَرِ فِي قَصَصِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الفرقان: ٣٢].

وَفِي تَعَلُّمِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٧].

فَبِهَذِهِ الْأُمُورِ وَتِلْكَ الْوَسَائِلِ يَتَحَقَّقُ الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ، وَالْقِيَامُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِالصِّدْقِ، وَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ؛ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَصَلَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ؛ قَامَ ثَابِتًا عَلَىٰ ذَلِكَ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِذَلِكَ، وَأَنْ يُذِيعَهُ وَأَنْ يَبُثَّهُ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ عَلَيْهِ بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ وَقْعِ الْأَذَىٰ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، وَهُوَ أَمْرٌ قَدَرٌ مُلَازِمٌ لَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.(*).

إِنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنَ النُّكُوصِ عَلَى الْأَعْقَابِ، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٨].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ» - السَّبْتُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٨هـ| ٢٠-١-٢٠٠٧م.

قَدْ كَانَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ؛ فَكُنْتُمْ تَرْجِعُونَ وَرَاءَكُمْ مُوَلِّينَ عَنْ سَمَاعِ الْآيَاتِ؛ كُفْرًا بِهَا، وَتَكْذِيبًا لِرَسُولِي الَّذِي بَلَّغَهَا، مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ الرَّسُولِ، وَمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ، وَكُنْتُمْ تَسْتَمْتِعُونَ فِي مَجَالِسِ سَمَرِكُمْ بِالطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ، وَبِالْأَقْوَالِ الْقَبِيحَةِ وَالسَّيِّئَةِ.

أَنْطَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ وَعُقُولُهُمْ بِغِشَاوَاتٍ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، فَلَمْ يَتَدَبَّرُوا مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَعْتَبِرُوا بِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ عَلَىٰ صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟!!

بَلْ أَجَاءَهُمْ مِنْ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ؟!!

إِنَّهُمْ إِذَا ادَّعَوْا هَذَا فَهُمْ كَاذِبُونَ؛ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ جَاءَهُمْ رَسُولَانِ كَرِيمَانِ هُمَا إِبْرَاهِيمُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ، وَاسْتَمَرَّ دِينُ اللهِ هُوَ السَّائِدُ فِي مَكَّةَ حَتَّىٰ غَيَّرُوا وَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ لَمَّا اسْتَجْلَبَهَا لَهُمْ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، وَكَانَتِ الْأَصْنَامُ خَارِجَ الْحَرَمِ، لَمْ تَكُنْ تُعْبَدُ فِي الْحَرَمِ، بَلْ كَانَ الْحَرَمُ مُنَزَّهًا عَنْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَاسْتَجْلَبَهَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ؛ يَعْنِي: يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ وَقَدِ انْدَلَقَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ دُبُرِهِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ.

اسْتَجْلَبَ لَهُمُ الْأَصْنَامَ، وَأَخَذُوا يَصْنَعُونَهَا وَيَعْبُدُونَهَا فِي الْحَرَمِ الْآمِنِ، فَدَخَلَ الشِّرْكُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الْبَابَةِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [المؤمنون: ٦٦-٦٨].

مِنْ أَسْبَابِ الثَّبَات:
الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ

عِبَادَ اللهِ! وَمِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِسَبَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، الَّذِي هُوَ الْقِيَامُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ، فَيُثَبِّتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَ وُرُودِ الْفِتَنِ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْمَصَائِبِ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ الثَّبَاتُ، يُوَفَّقُونَ لِفِعْلِ الْأَوَامِرِ وَتَرْكِ الزَّوَاجِرِ الَّتِي تَقْتَضِي النَّفْسُ فِعْلَهَا، وَعِنْدَ حُلُولِ الْمَصَائِبِ الَّتِي يَكْرَهُهَا الْعَبْدُ، فَيُوَفَّقُ لِلتَّثْبِيتِ بِالتَّوْفِيقِ لِلصَّبْرِ أَوْ لِلرِّضَا أَوْ لِلشُّكْرِ، فَتَنْزِلُ عَلَيْهِ مَعُونَةٌ مِنَ اللَّهِ لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَيَحْصُلُ لَهُ الثَّبَاتُ عَلَى الدِّينِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْقَبْرِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ الْقَائِمَ بِمَا أُمِرَ بِهِ؛ لَا يَزَالُ يَتَمَرَّنُ عَلَى الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ حَتَّى يَأْلَفَهَا وَيَشْتَاقَ إِلَيْهَا وَإِلَى أَمْثَالِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَعُونَةً لَهُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

وَمَا فَرَضْنَا عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، وَلَوْ أَنَّا فَرَضْنَا وَأَوْجَبْنَا عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ لِيُكَفِّرُوا عَنْ ذَنْبِهِمُ الَّذِي ارْتَكَبُوهُ بِتَحَاكُمِهِمْ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَوْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي

إِسْرَائِيلَ الْقَتْلَ وَالْخُرُوجَ مِنْ مِصْرَ؛ لَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْهُمْ، فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْيَهُودِ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ أَسْلَافِهِمُ الْيَهُودِ، مَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ وَفِسْقٍ وَسُوءِ حَالٍ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُنْصَحُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ؛ لَكَانَ الْعَطَاءُ الرَّبَّانِيُّ لَهُمْ يَتَكَوَّنُ مِنْ أَرْبَعِ ثَمَرَاتٍ:

الثَّمَرَةُ الْأُولَىٰ: لَنَالُوا بِفِعْلِهِمْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا يَفُوتُهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَبَبِهِ؛ إِذْ يُعَوِّضُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا هُوَ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ؛ كَسَعَةٍ فِي الرِّزْقِ، وَطُمَأْنِينَةٍ فِي النَّفْسِ.

وَالثَّمَرَةُ الثَّانِيَةُ: تَثْبِيتُ الْإِيمَانِ فِي نُفُوسِهِمْ مِمَّا يَصْرِفُ عَنْهُمْ قَلَقَ النَّفْسِ الَّذِي يَجْلِبُهُ النِّفَاقُ وَالْخَوْفُ مِنَ انْكِشَافِ حَالِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ تَمْكِينًا رَاسِخًا بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالثَّمَرَةُ الثَّالِثَةُ: لَآتَيْنَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الدِّينِ أَجْرًا عَظِيمًا جِدًّا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، لَيْسَ مِنْ نَوْعِ مَا سَبَقَ مِنَ الْعَطَاءَاتِ.

وَالثَّمَرَةُ الرَّابِعَةُ: لَأَرْشَدْنَاهُمْ وَوَفَّقْنَاهُمْ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْقَوِيمِ، وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِمَعُونَتِنَا وَتَوْفِيقِنَا لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْأُمُورِ، وَإِدْرَاكِ وَجْهِ الْخَيْرِ، وَمَعْرِفَةِ الْأَنْفَعِ وَالْأَقْوَمِ وَالْأَصْلَحِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النساء: ٦٦].

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: «أَخْبَرَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَا يُجَاوِزُوهُنَّ حَتَّىٰ يَفْقَهُوهُنَّ، وَيَعْمَلُوا بِهِنَّ»(١).

إِنَّمَا تَتَعَلَّمُ لِتَعْمَلَ!

تَيَقَّظْ، وَتُبْ، وَأَنِبْ، وَاسْتَغْفِرْ، وَعُدْ، وَاقْرِنْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَدَعْكَ مِنْ بَهَارِجِ الزِّينَةِ.(*).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَات الْكُبْرَىٰ» (٨/ ١٩٢، ترجمَةِ أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: ٢٩١٦/ ط الْخَانْجِيّ)، وابْن أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّف» (رَقْم ٢٩٩٢٩)، وأَحْمَد فِي «الْمُسْنَد» (٥/ ٤١٠، رَقْم ٢٣٤٨٢)، وَالطَّحَاوِيّ فِي «شَرْح مُشْكِل الْآثَار» (٤/ ٨٣، رَقْم ١٤٥١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيح، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: «**حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَىٰ الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ**، قَالَ: **فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «تَيَقَّظْ وَانْتَبِهْ» - الْجُمُعَةُ ١٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ/ ٥-١٠-٢٠١٢م.

مِنْ سُبُلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ: لُزُومُ السُّنَّةِ وَمُجَانَبَةُ الْبِدَعِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ: الْعِلْمَ، وَلُزُومَ السُّنَّةِ، وَالدِّفَاعَ عَنْهَا، وَمُجَانَبَةَ الْبِدْعَةِ؛ فَالثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ بَعْدَ الْهِدَايَةِ إِلَيْهِ هُوَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَمَّا أَنْ يَزِيغَ الْإِنْسَانُ مُضْطَرِبًا كَالرِّيشَةِ فِي مَهَابِّ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ، تَأْتِي بِهِ كَلِمَةٌ وَتَذْهَبُ بِهِ كَلِمَةٌ؛ فَهَذَا مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَهْلِ الْبِدَعِ.

الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ هُوَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أَنَّك تَجِدُ أَهْلَ الْكَلَامِ أَكْثَرَ النَّاسِ انْتِقَالًا مِنْ قَوْلٍ إِلَىٰ قَوْلٍ، وَجَزْمًا بِالْقَوْلِ فِي مَوْضِعٍ، وَجَزْمًا بِنَقِيضِهِ وَتَكْفِيرِ قَائِلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَهَذَا دَلِيلُ عَدَمِ الْيَقِينِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ فِيهِ قَيْصَرُ -يَعْنِي هِرَقْلَ- لَمَّا سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَمَّنْ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ -يَعْنِي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ- عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (٤/ ٥٠-٥١).

قَالَ: «**وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ**[١] **لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»[٢] فِي مَوَاضِعَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَالثَّبَاتُ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ بِالصِّدْقِ هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ فَيَزِيغُونَ.

وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ»[٣].

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ؛ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ، بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَىٰ ذَلِكَ؛ وَإِنِ امْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ، وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ، وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ كَأَهْلِ

---

(١) «**الْبَشَاشَةُ**»: انْشِرَاحُ الصَّدْرِ بِهِ وَفَرَحُ الْقَبُولِ لَهُ وَرَوْنَقَهُ الَّذِي يُوجِبُ الإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَيْهِ.

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٣١ - ٣٣ و ١٢٥، رقم ٧ و ٥١)، والحديث أخرجه أيضا مسلم: (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧، رقم ١٧٧٣).

(٣) أخرجه مالك في «**الموطأ**» رواية محمد بن الحسن الشيباني: (ص ٢٩٧، رقم ٩١٨)، وابن سعد في «**الطبقات**»: (٥/ ٣٧١)، والدارمي في «**المسند**»: (١/ ٣٤٢، رقم ٣١٢ و ٣١٣)، والفريابي في «**القدر**»: (ص ٢٥٢ - ٢٥٣، رقم ٣٨٤ و ٣٨٥)، وابن بطة في «**الإبانة الكبرىٰ**»: (٢/ ٥٠٢ - ٥٠٨)، وغيرهم، من طرق: عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ عَرْضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ»، وهو صحيح عنه.
وفي رواية: «...، مَنْ كَثُرَتْ خُصُومَاتُهُ لَمْ يَزَلْ يَتَنَقَّلُ مِنْ دِينٍ إِلَىٰ دِينٍ».

الْأُخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ، وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ؛ حَتَّىٰ كَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «لَا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَلَاءٌ»(١).

يَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنَ، فَإِنْ صَبَرَ رَفَعَ دَرَجَتَهُ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وَمَنْ صَبَرَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ عَلَىٰ قَوْلِهِ؛ فَذَاكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ؛ إِذْ لَا بُدَّ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ -عَلَيْهَا طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ- مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَيُوَافِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مَا يُوجِبُ قَبُولَهَا؛ إِذِ الْبَاطِلُ الْمَحْضُ لَا يُقْبَلُ بِحَالٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالثَّبَاتُ وَالِاسْتِقْرَارُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ أَضْعَافِ مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ؛ بَلِ الْمُتَفَلْسِفُ أَعْظَمُ اضْطِرَابًا وَحَيْرَةً فِي أَمْرِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ؛ لِأَنَّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي تَلَقَّاهُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْمُتَفَلْسِفِ، وَلِهَذَا تَجِدُ مِثْلَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَأَمْثَالِهِ أَثْبَتَ مِنْ مِثْلِ ابْنِ سِينَا وَأَمْثَالِهِ.

وَأَيْضًا تَجِدُ أَهْلَ الْفَلْسَفَةِ وَالْكَلَامِ أَعْظَمَ النَّاسِ افْتِرَاقًا وَاخْتِلَافًا مَعَ دَعْوَىٰ كُلٍّ مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي يَقُولُهُ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ قَامَ عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ.

---

(١) أخرج أبو العرب الإفريقي في «**المحن**»: (ص ٢٩٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَا أَغْبِطُ أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الأَمْرِ بَلاءٌ».

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ أَعْظَمُ النَّاسِ اتِّفَاقًا وَائْتِلَافًا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنَ الطَّوَائِفِ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ؛ كَانَ إِلَىٰ الِاتِّفَاقِ وَالِائْتِلَافِ أَقْرَبَ، فَالْمُعْتَزِلَةُ أَكْثَرُ اتِّفَاقًا وَائْتِلَافًا مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ؛ إِذْ لِلْفَلَاسِفَةِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَالْمَعَادِ وَالنُّبُوَّاتِ بَلْ وَفِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالرِّيَاضَاتِ وَصِفَاتِ الْأَفْلَاكِ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ». (*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْإِمَامَ الْقُدْوَةَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّابُلْسِيِّ الرَّمْلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ(٢) -الَّذِي حُبِسَ، وَقُتِلَ عَلَىٰ السُّنَّةِ- ثَبَتَ ثَبَاتًا عَظِيمًا فِي ذَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قِيَامًا يَعْجَبُ لَهُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ النَّظَرِ فِيهِ، وَالْبَحْثِ فِي مَطَاوِيهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ قَدَمِ الصِّدْقِ، وَكَانَ مُمَيِّزًا بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، وَبَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَكَانَ فِي ثَبَاتِهِ مُسَدَّدًا، وَكَانَ فِي ثَبَاتِهِ مُؤَيَّدًا، فَلَمْ يَخْذُلْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مَقَامِهِ الَّذِي قَامَ فِيهِ، وَإِنَّمَا أَضْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَصَارَ مَثَلًا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ» - السَّبْتُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٨هـ| ٢٠-١-٢٠٠٧م.

(٢) انظر ترجمته: «**ذيل تاريخ العلماء**» لأبي محمد ابن الْأَكْفَانِيّ: (ص ٩٧، رقم ٤٧)، و «**الأنساب**» للسمعاني: (١٣/ ٣، رقم ٤٠٣٠)، و «**تاريخ دمشق**» لابن عساكر: (٥١/ ٤٩ - ٥٠، ترجمة رقم ٥٩٠٦)، و «**العبر**»: (٢/ ١١٦)، و «**تاريخ الإسلام**»: (٨/ ٢١٦، ترجمة رقم ٨١)، و «**سير أعلام النبلاء**»: (١٦/ ١٤٨ - ١٥٠، ترجمة رقم ١٠٥)، و «**الوافي بالوفيات**» للصفدي: (٢/ ٣٣ - ٣٤، ترجمة رقم ٣١٩).

لَمَّا أُخِذَ فَكَانَ عِنْدَ أَبِي تَمِيمٍ صَاحِبِ مِصْرَ -وَهُوَ مِنَ الْعُبَيْدِيِّينَ، وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُمْ مِنْ غُلَاةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ حَاوَلُوا إِطْفَاءَ نُورِ النُّبُوَّةِ، وَالَّذِينَ غَيَّرُوا الْمِلَّةَ، وَبَدَّلُوا الشَّرِيعَةَ، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَتَتَبَّعُوا الْمُؤْمِنِينَ قَتْلًا وَتَشْرِيدًا-، لَمَّا كَانَ عِنْدَهُ؛ سَأَلَهُ فَقَالَ: بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ عَشْرَةُ أَسْهُمٍ؛ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ فِي الرُّومِ سَهْمًا وَاحِدًا، وَيَجْعَلُ فِينَا تِسْعَةً!!

فَقَالَ: مَا قُلْتُ هَكَذَا، بَلْ قُلْتُ: لَوْ كَانَ عِنْدَ رَجُلٍ عَشْرَةُ أَسْهُمٍ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ فِيكُمْ تِسْعَةً، وَأَنْ يَجْعَلَ الْعَاشِرَ فِيكُمْ أَيْضًا!![1]

فَأَمَرَ بِهِ فَسُلِخَ حَيًّا، وَحُشِيَ تِبْنًا، وَصُلِبَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-[2].

قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الدَّارَقُطْنِيَّ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ يَحْكِي عَنْهُ وَيَبْكِي وَيَقُولُ: رَأَيْتُهُ وَهُوَ يُسْلَخُ حَيًّا، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]»[3].

---

(١) «**المنتظم**» لابن الجوزي: ترجمة أبي تميم معد بن إسماعيل صاحب مصر(١٤/ ٢٤٥)، والسياق له.

(٢) «**ذيل تاريخ العلماء**»: (ص ٩٧، رقم ٤٧)، و «**تاريخ دمشق**» لابن القلانسي: ذكر ولاية ظالم بن موهوب لدمشق، (ص ٩-١٠)، و «**تاريخ دمشق**» لابن عساكر: (٥١/ ٥١).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٥١/ ٥٠)، بإسناد صحيح، عن أبي النَّجيب عبد الغفّار بن عبد الواحد الأُرْمُويّ الحافظ، قال:

قال لنا أبو ذر الهروي: «أبو بكر النابلسي: سجنه بنو عبيد وصلبوه علىٰ السنة، وسمعت الدارقطني يذكره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾».

فَإِنَّ الْعُبَيْدِيِّينَ الْفَجَرَةَ لَمَّا أَمَرَ قَائِمُهُمْ بِمِصْرَ يَهُودِيًّا، فَتَسَلَّطَ عَلَىٰ الْإِمَامِ رَحِمَهُ اللهُ، فَسَلَخَهُ مِنْ مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ وَجْهَهُ، وَهُوَ يَتَصَبَّرُ وَيَذْكُرُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ، حَتَّىٰ وَصَلَ فِي سَلْخِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ، فَرَحِمَهُ الْيَهُودِيُّ فَاتَّكَأَ عَلَىٰ سِكِّينِ سَلْخِهِ عَلَىٰ حَبَّةِ قَلْبِهِ، فَقَضَىٰ عَلَيْهِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-.

أُخِذَ عَلَىٰ السُّنَّةِ وَحُبِسَ عَلَيْهَا، وَمَاتَ قَائِمًا عَلَيْهَا، ذَائِدًا عَنْ حِيَاضِهَا، مُدَافِعًا عَنْ شَرَفِهَا، وَقَائِمًا بِحَقِّهَا، وَثَبَاتُهُ عَجِيبٌ!! أَنْ يُؤْخَذَ الرَّجُلُ حَيًّا، قَائِمًا عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَأَنْ يُسْلَخَ بِالسِّكِّينِ حَيًّا، يَنْظُرُ وَيَرَىٰ، حَتَّىٰ إِذَا سُلِخَ جِلْدُ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، ثُمَّ سُلِخَ مَا هُنَالِكَ مِنْ جِلْدِ رَقَبَتِهِ، ثُمَّ انْحَدَرَ السَّلَّاخُ إِلَىٰ صَدْرِهِ فَرَحِمَهُ، فَاتَّكَأَ عَلَىٰ سِكِّينِهِ عَلَىٰ قَلْبِهِ حَتَّىٰ قَضَىٰ عَلَيْهِ؛ رَحْمَةً بِهِ مِمَّا يُعَانِيهِ، وَهُوَ لَا يَزِيدُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾!!

كَانَ قَائِمًا عَلَىٰ السُّنَّةِ، مُدَافِعًا عَنْهَا، مُحَارِبًا لِلْبِدْعَةِ، مُزْرِيًا بِهَا، فَكَانَ ثَبَاتُهُ فِي مَوْطِنِ الصِّدْقِ، وَكَانَ ثَبَاتُهُ عَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْحَقِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٠هـ| ١٧-٧-٢٠٠٩م.

مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ:
الاِسْتِغْفَارُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ الثَّبَاتِ حَتَّى الْمَمَاتِ: الاِسْتِغْفَارَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣]؛ فَهَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]؛ فَهَذَا فِي الْآخِرَةِ.(*).

وَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّكُمُ السَّتْرَ لِسَالِفِ ذُنُوبِكُمْ، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَخْلَصْتُمُ الْعِبَادَةَ للهِ -سُبْحَانَهُ-؛ بَسَطَ عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِ الرِّزْقِ مَا تَعِيشُونَ بِهِ فِي أَمْنٍ وَسَعَةٍ وَخَيْرٍ إِلَىٰ حِينِ الْمَوْتِ، وَإِلَىٰ وَقْتِ انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ.

وَيُعْطِي كُلَّ ذِي زِيَادَةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ فِي الدُّنْيَا أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ.(*/٢).

قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «ذِكْرُ اللهِ ﷻ.. مَعْنَاهُ.. أَنْوَاعُهُ.. فَوَائِدُهُ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - الْأَحَدُ ٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٦هـ| ٢٠-٩-٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [هود: ٣].

وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِمَّا هَمَمْتَ بِهِ، مِمَّا يُعَدُّ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْصِبِكَ الرَّفِيعِ ذَنْبًا؛ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، إِنَّ اللهَ كَانَ كَثِيرَ السَّتْرِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، دَائِمَ الرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْأَمْرُ فِي ظَاهِرِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ فِي عُمُومِهِ لِكُلِّ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ قَاضٍ يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ.(*).

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ.**

إِذَا قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ»(٢). (*/٢).

فَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عِنْدَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي وَالْمَعَائِبِ.(*/٣).

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

وَتُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُنْقَطِعِينَ أَوْصِلْنَا إِلَيْكَ، وَلَا تَقْطَعْنَا بِالْأَغْيَارِ عَنْكَ -بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ-.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النساء: ١٠٦].

(٢) أخرجه البخاري: (١١/ ٩٧ - ٩٨ و ١٣٠، رقم ٦٣٠٦ و ٦٣٢٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ) (ص: ٢٦٩٨).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «عَرَفْتَ فَالْزَمْ!» - ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٣| ٢٠-٤-٢٠١٢م.

اللَّهُمَّ اهْدِ قُلُوبَنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَأَقِمْ حُجَّتَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنَا، وَوَفِّقْنَا فِي أَعْمَالِنَا.

وَتُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ، تُبْ عَلَيْنَا لِنَتُوبَ.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا.

يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أَغِثْنَا، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أَغِثْنَا، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أَغِثْنَا.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ، نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.

نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، نَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

❊❊❊

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَادِّيِّ» - الْجُمُعَةُ ١٥-٩-١٩٩٥م.

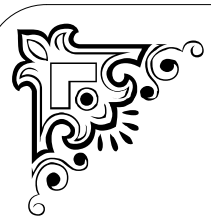

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣
عِظَمُ نِعْمَةِ الثَّبَاتِ ٣
مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ: الْأَخْذُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ٥
مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ: الْإِقْبَالُ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ والْعَمَلُ بِهِ ٧
مِنْ أَسْبَابِ الثَّبَات: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ ١١
مِنْ سُبُلِ الثَّبَاتِ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ: لُزُومُ السُّنَّةِ وَمُجَانَبَةُ الْبِدَعِ ١٤
مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ: الِاسْتِغْفَارُ ٢٠
الْفِهْرِسُ ٢٣